اسم المصدر: اليوم

التاريـــخ: 09-06-2010 رقم العـدد: 13508 رقم الصفحة: 6 مسلسـل: 33 رقم القصاصة: 1

القائد والمسئولية التاريخية.. 5 أعوام على البيعة

في عمر الشعوب والأمم، لا تحتسب الأعوام والشهور والأسابيع والأيام بمنطق الإحصاء وحساب الأعداد، ولا تحتسب بطولها، وبما تحتويه من مساحة في "الزمن".

تحسب الأعوام والشهور والأسابيع والأيام في عمر الشعوب بما تعنيه من "عمق"، وبما تنطوي عليه من "معنى"، وبما يتبقى منها من "الإنجاز".

هذا هو حساب "التاريخ" الذي قد لا يتوقف أمام عقود ومراحل لا يلقي لها بالا أو يقيم لها وزنا، إذ مرت دون أن يغفر بها أحد، لأنها لم تترك أثرا، ولم تخلف علامة.

وهذا هو حساب "التاريخ" الذي قد لا يحفل بسنوات طويلة مرت على الشعوب دون أن تؤثر في حياتهم، ودون أن تضيف إلى هذه الحياة شيئا.

أعمار الشعوب - في التاريخ - تقاس بعمقها، لا بطولها، وتقاس بما استطاعت أن تضيفه إلى حياتهم من مكاسب وخيرات، وبما أعطته لهذه الحياة من معنى ودلالة وعمق.

وقد تمر أعوام - في حياة الشعوب - دون أن يتذكرها أحد، لكن يوما واحدا قد يكون كافيا لأن يتذكر الناس العام الذي جاء فيه، بل ويسمون العام بما جاء في هذا اليوم من خير أو نبأ، وبما وقع فيه من حدث.

هكذا يجب أن ننظر إلى أيامنا معه "ملك الإنسانية". وهكذا يجب أن ننظر إلى مسيرتنا في ظل قيادته، وبحكمته وبصيرته ورؤيته الثاقبة التي قادت الوطن والأمة إلى مرحلة سوف يتوقف التاريخ أمام ما أنطوت عليه من مكاسب وإنجازات في كافة المجالات.

وتمر أعوام خمسة على مبايعة الوطن للقائد / الرمز عبد الله ابن عبد العزيز، دليلا وهاديا إلى مستقبل الأمة.

خمسة أعوام منذ 26 من جمادى الآخرة 1426هـ إلى 26 من جمادى الآخرة 1431هـ.

خمسة أعوام مرت معه، قائدا وزعيما شهدت البلاد على يديه إنجازات حضارية وإنسانية سوف يتوقف أمامها التاريخ، ليسجلها بحروف من نور المجد والكرامة والعزة والفخار بما حققه من منجزات اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية فتحت صفحة جديدة في تاريخ الوطن، وفتحت أبواب أمام متغيرات "نوعية" و"كمية" تضع المجتمع في قلب المواجهة مع التحديات التي يطرحها العصر، وتضعه أمام سؤال المستقبل: كيف نؤكد موقعنا وجدارتنا في قرن التقنية؟

فقد قدم خادم الحرمين الشريفين "ملك الإنسانية" - منذ توليه مقاليد الحكم في البلاد نموذجا فذا للقائد التاريخي الملهم لأمته الباعث لحيو يتها ونهضتها، بما طرحه من صورة للقائد الإستثنائي، الذي يمتلك شخصية بمواصفات خاصة، ويتمتع بسمات نادرة، في تعبير عملي جديد عن اللحظة التاريخية التي استدعته، التي أستجابت "كاريزمته"، بتعبير لا يستند إلى الشعار بقدر ما يقوم على العمل والمثال والقدوة.

وقد بدأ - حفظه الله - عهده الميمون بإصدار عدد من القرارات المهمة التي تجسد الجوانب الإنسانية والوطنية الواسعة في شخصيته، وأتطت القرارات التي أصدرها الملك عبد الله منذ اللحظة الأولى، بعد توليه الحكم "رسالة" واضحة تحمل كثيرا من المضامين الإنسانية النبيلة، وتوخى في هذه "الرسالة" التأكيد الدائم على سياسة هذه البلاد في خدمة الدين وقضايا الأمة الإسلامية، مفصحا عن شخصية القائد الفارس، عبر صفات لا يمكن عزلها عن جذورها التاريخية باعتبارها امتدادا طبيعيا للقائد المؤسس الملك عبد العزيز وأبنائه الملوك الكرام.

ومنذ اللحظة الأولى لتوليه مسئوليته التاريخية، بدأت "سحائب الخيرات" تضاقط "ثمرة" وراء "ثمرة"، من زيادة رواتب الموظفين، ورفع سقف الضمان الإجتماعي للأسر المحتاجة والضعيفة، إلى زيادة رأس مال صناديق التنمية والإقراض الميسر للمواطنين، وبناء الإسكان الشعبي، بما يعنيه من انحياز واضح وصريح للفقراء والمحتاجين، معلنا مسئولية الدولة عنهم، فكانت أعظم هدية للأسر الفقيرة التي يمثل السكن أكبر همومها.

العديد من المكاسب، تتضمنها قرارات ملك الإنسانية، تدفقت على المجتمع، في تعبير عملي عن سمة الحس الإنساني المرهف في شخصية القائد الرمز، الزعيم الاستثنائي، في تلافيه وتواصله وتلامسه مع "الإنساني" و"الوجداني" في المجتمع.

وأطلق القائد / الرمز أعمال مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الذي حرص خادم الحرمين الشريفين على إنشائه من أجل توفير البنية الملائمة الداعمة للحوار بين جميع أفراد المجتمع وفئاته، وشهدت المملكة في عهده وبرعايته وبدعم مباشر منه - حفظه الله - انتخاب نصف أعضاء المجالس البلدية في جميع مناطق المملكة. كما أطلق القائد / الرمز "إقارة" البدء في تفعيل مؤسسات المجتمع المدني، ومن ذلك دوره - حفظه الله - في تأسيس أول هيئة للصحفيين السعوديين لتكون إطارا لتنظيم العلاقات والتعاون بين العاملين في مهنة الصحافة.

وجاءت القرارات "الإنسانية" قرارا وراء قرار، من خفض أسعار الوقود بما يعنيه من رفع 500 مليون ريال من فاتورة تكاليف المعيشة للمواطنين السعوديين، وخفض إنفاق المواطن على الوقود بنسبة 30 بالمائة، إلى منح علاوة الغلاء، إلى خفض الرسوم الحكومية على الكثير من "التأشيرات" ومعاملات المواطنين في العديد من المصالح والأجهزة.

ووجدت المرأة السعودية في خادم الحرمين الشريفين راعيا ونصيرا لحقوقها التي أقرها الإسلام، ومدافعا قويا عن دورها ومكانتها ومساهماتها في تحقيق التنمية الوطنية الشاملة، إذ تعددت لقاءات القائد / الرمز بالمبدعات السعوديات والمتفوقات في مختلف المجالات، خاصة مجالات العلم والإبداع والابتكار، واستمع للقيادات النسائية ووجه بتذليل كل المعوقات التي تحول دون إطلاق طاقات المرأة السعودية في إطار قيم الدين الإسلامي، وعادات وتقاليد المجتمع السعودي.

وتبقى كلمات القائد / الرمز نموذجا للعلاقة التي تربطه بشعبه. وتبقى مثلا شرودا في نظرة الحاكم إلى المحكومين، بل وتبقى دليلا حيا على انتماء الحاكم إلى المواطنين الذين جاء من بين صفوفهم، ليتولى المسئولية عنهم، متحملا "الأمانة" في رعاية مصالحهم أمام الله وضميره الإنساني الحي. وهكذا أعلنها يوما، ولا تزال باقية في الأسماع والأذهان:

"إنني من مكاني هذا، أعدكم بأن أسعى لخدمتكم في كل أمر فيه صلاح دينكم ودنياكم، الحاكم إنسان وبشر، والحكم "خدمة" يسعى من خلالها الحاكم إلى ما فيه الإصلاح والفلاح للدين والدنيا".

إنه الحاكم في "خطاب" الملك عبد الله بن عبد العزيز "خادم" لأبناء الوطن، والحكم ليس ترفا وليس تشريفا بل تكليفا، وأمانة يتحملها بمسؤولية.

إنها أمانة تاريخية. هكذا يؤكد الملك قائلا: "إنني حملت أمانتي التاريخية تجاهكم، واضعا

اسم المصدر: اليوم

التاريـــخ: 09-06-2010 رقم العـدد: 13508 رقم الصفحة: 6 مسلسـل: 33 رقم القصاصة: 2

إنهـا أمانة تاريخية. هكذا يؤكد المليك قائلاً: "إنني حملت أمانتي التاريخية تجاهكم، واضعاً نصب عيني همومكم وتطلعاتكم وآمالكم، فعزمت متـوكلاً على الله، في كل أمر فيه مصلحة ديني ثم وطني وأهلي، مجتهداً في كل ما من شأنه خدمتكم".

هـذه هي صـورة الحكم في عين القائد الرمـز، وهكذا يرى عبد الله بـن عبد العزيز في الحكم وسـيلة لخدمة الوطن وأبنائه، ثم يتواضع المليك تواضع القادة التاريخيين العظام النادرين والعدودين في مسـيرة التاريخ، في إيمان الواثـق بالله، الملتمس عونه وتأييده قائلاً: "فإن أصبت فمن الله وتوفيقه وسـداده، وإن أخطأت فمن نفسـي، وشفيعي أمام الخالـق - جل جلاله - ثم أمامكم، اجتهاد المحب لأهلـه الحريص عليهم أكثر من حرصه على نفسه".

إنه القائد المحب لأهلـه، في أبلغ تعبير عن علاقته بمواطنيه وأبناء شعبه، وهكذا يختصـر المليـك العلاقـة في كلمتـين: الانتمـاء للأهل، وهكذا يرى أبناء هذا الوطـن، كلهم أهله، ولعل هذا ما يحس به الناس ويشـعرون به في كل شـبر على أرض هذا الوطن، ولعل هذا سر تفاعلهم وتواصلهم مع هذا القائد الفريد، فجاءت مشاعرهم وردود أفعالهم تجاه كل قرار يصدره، تلقائية وسريعة وعفوية، تعكس حبهـم وتقديرهم وامتنانهم لما يقوم به الملك من أجل إسـعادهم ورفاهيتهم ورخائهم.

ومـن هنا ينطلق عبد اللـه بن عبد العزيز إلـى جميع أبناء الوطـن، في كافة المناطـق والمدن، وإلى الجميع بكافة فئاتهم وشـرائحهم الاجتماعية، لا فضل ولا تمييز ولا تفرقة. الجميع سواسـية وشركاء الوطن وشركاء في كل ثرواته ومكاسبه.

وقـد أعلنها واضحة وصريحة، عندما أكد أنه "لا توجد مناطق من الدرجة الأولى وأخرى من الدرجة الثانية في بلادنا"، مؤكداً أن العدل والمساواة بين كافة المناطق ومحافظاتها ومدنها وقراها هما المعيار السـائد في معاملة الدولة لجميع أبناء المملكة من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها. فالمواطن في أي "هجرة" أو "قرية" له نفس حقوق المواطن في الرياض أو الدمام أو جدة أو الخبر، وعليه نفس الواجبات.

لا تفرقـة ولا تمييز بين المناطق، ولا تفرقـة ولا تمييز بين المواطنين على أي أساس.

إنهـا "التنميـة المتوازنـة" التي تتـوزع ثمارها بالعـدل بين كافة المناطق، وتتوزع بين المناطق على أسـس ومعاييـر "المواطنة". فالكل سـواء في برنامج العمل الوطني، وفي برامج الإصـلاح والتنمية التي يقودها خادم الحرمين الشريفين بمعاونة صادقة وأمينة من أخيه ولي العهد الأمير سـلطان بن عبد العزيز، وأخيه النائب الثاني الأمير نايف بن عبد العزيز.

ودائما هو "المواطن" مفتاح المعادلة الوطنية، وكلمة السـر في أي توجـه وأي أداء، ومن هنا لم يكن مسـتغرباً ولم يكن جديداً أن نرى الالتفاف الشعبي الواسـع حول المليك من مواطني المملكة، وبتقدير كبيـر لما يقوم به - حفظه الله - من رعايـة لمصالح الوطن وحرص على مستقبل أبنائه.

إنه القائد الذي إذا تحدث كانت كلماته "ثمارا" يضعها بين أيدي أبنائه وشعبه ومواطنيه.

إنه القائد الـذي إذا تحدث صدق، وإذا وعد أوفى، مؤديا للأمانة، ساهرا على مصالح الوطن، ودليلا إلى مستقبلها المشرق دائما بإذن الله وبرعايته.

بقلم:
محمد الوعيل